قصيدة الهايكو عند الشاعرة اليابانية تشي يو ني

سأتناول في هذه المقالة بعض قصائد الشاعرة اليابانية فوكودا تشي يو ني Fukuda Chiyo-ni أو كاجا نو تشي يو **Kaga no Chiyo** أو تشي يوجو Chiyojo (1703-1775) حسب الطرق المختلفة لكتابة اسمها. تقول في إحدى قصائدها:

Morning glories –

The well-bucket entangled

I ask for water

زهور "نجمات الصباح":

دلو البئر متشابك [بها]

أطلب الماء [من جاري]

وللقصيدة ترجمة أخرى إلى الإنجليزية

The morning-glory

Has captured my well-bucket

I will beg water

زهرة نجمة الصباح

استولتْ على دلوِ مائي

سأتسول بعض الماء

تقوم جمالية هذه القصيدة على الفلسفة البوذية التي ترى أن لكل كائن أو نبات أو أي شيء روح مثل الإنسان تماما. وعندما رأت الشاعرة هذه الأنواع من الزهور متشابكة بالدلو الذي تريد أن تُخرج به الماءَ من البئر، رفضت أن تزعج هذه الزهور وبالتالي لم تُخرج الدلوَ من بينها، وفضَّلت أن تطلب الماء من جارتها أو جارها على أن تملأ الدلو كي لا تزعج هذه الزهور النائمة في حضن الدلو.

باختصار، هناك مشهد الزهور وهناك الدلو، ورأت الشاعرة فيهما نوما أو احتضانا أو علاقة [جنسية] بين الكائنات، فرفضت الشرب من البئر، وفي الوقت ذاته لبَّتْ

حاجتَها إلى الماء بأن طلبته من الجار. وبالرغم من ارتباط المشهد بالثقافة البوذية، يمكن للقارئ أن يتذوق القصيدة ويدرك جمالها حتى لو لم تكن لديه خلفية عن البوذية: فالزهور في العربية مثلا مؤنثة والدلو مذكر، ويمكن للقارئ أن يدرك في تشابك الزهو بالدلو علاقة بين رجل وامرأة، وعندما يكون القارئ يحترم خصوصية الإنسان سيدرك جمال البيت الأخير. أما إذا كان الشاعر لا يحترم هذه الخصوصية مثلا أو يفكر في نفسه فقط، فيمكنه أن يكتب الهكيدة بطريقة أخرى من خلال تغيير السطر الأخير فقط، وتظل القصيدة هكيدة برغم ذلك:

زهرة نجمة الصباح

ودلو الماء متشابك بها:

أنزعُ الدلوَ لأشربَ.

فالمشهد البصري تم تخليصه هنا من فلسفته البوذية، وظل رمزا لعلاقة بين رجل وامرأة تحجب حق الآخرين في أبسط مبادي الحياة: ألا وهو الماء.

وفي كل الحالات، هناك مشهد حاضر أمام العين وهو مشهد طبيعي وعادي: زهور نجمات الصباح ودلو ماء والزهور ملتفة حول الدلو. وهناك عين تلاحظ هذا المشهد وتتأمله. وبعد ذلك ترى هذه العين في المشهد ما ليس موجودا فيه بشكل مادي، أو ما ليس من طبيعته. ويتصرف صاحب العين بناء على ما كشفه تأمله: فهذا التأمل كشف عن أن هذا المشهد ليس مشهدا صامتا، وإنما يمثل في عين الناظر "البريء" كائنات نائمة ولا يجب إزعاجها، وفي عين الناظر البالغ أو "الصايع" رجلا وامرأة في وضع جنسي أو بعد وضع جنسي وهما في نوم عميق في أحضان بعضهما البعض. ونتيجة لهذا الكشف يتصرف الناظر، ففي القصيدة الأصلية تتركهما الشاعرة ينامان في سلام، وتستخدم طريقة بديلة لتلبية حاجتها للشرب (وربما تذكرت الشاعرة/الراهبة

من خلال هذا المشهد حياتها السابقة على دخولها للدير، فجمعت في قصيدتها بين الفلسفة البوذية وبين حياتها الجسدية السابقة على دخولها للدير).

أما في القصيدة الثانية التي قمت بتحويرها، فيبصر الشاعر المتخيَّل في المنظر الطبيعي علاقة جنسية غير مشروعة. وحتى لو كانت مشروعة يبصر فيها تعديا على حقوق الآخرين في الحياة، فيقوم بانتزاع الدلو لإنزاله في البئر كي يلبي حاجته إلى شرب الماء الذي منه أصل كل شيء حي، كما في ثقافتنا العربية أو الإسلامية، وبالتالي تصير القصيدة المحوَّرة ذات فلسفة مختلفة ورؤية مختلفة للعالَم، فيرى الصوت فيها أن أصل الحياة/الماء مِلكٌ لكل الأشخاص، ولا يحق لشخص أن يمنع الآخرين منه. وحتى في هذه الصياغة المحوَّرة، سيكون الدلو مذكَّرًا والبئرُ مؤنَّثةً، ولكن التقاء الدلو بالبئر التقاءٌ بالماء أيضا، الأمر الذي يجعل استمرار الحياة وانتشارها هدفا أساسيا للقصيدة.

وبالرغم من أن هذا الصوت قد يعتقد في شرعية أو عدم شرعية العلاقة الجنسية التي تتجلى في المشهد أمامه، فإنه يرى أن هذه العلاقة صارت غير شرعية لأنها تحدث في مكان عام يخص الجميع وبالتالي تنتفي عنها الخصوصية ولا بد من اعتراض طريقها لإفساح المجال أمام حياة الجميع.

وها هي قصيدة أخرى لها:

airing out kimonos as well as her heart is never enough

تهوية أثواب الكيمونو الفضفاضة

وتهوية قلبَها

ليسا كافيين أبدًا.

من الملاحظ أن القصيدة مكتوبة من منظور نسائي. تهوية الملابس تدل على أن هذه الملابس كانت محفوظة ولم يتم استعمالها طوال الفصل المناخي السابق، وتم استخراجها

لتهويتها تمهيدا للبسها في الفصل الجديد المناسبة له. ومن الواضح أن المرأة في القصيدة هي التي تقوم بذلك. ويقرن الصوت في القصيدة بين تهوية الملابس وتهوية قلب المرأة، وكأن الأعمال المنزلية تجعل قلب المرأة محفوظا مثل حفظ الملابس بالضبط، وكأنه صار في حاجة لأن ينفتح على الحياة وعلى الهواء الطازج.

أي أن الشاعرة تساوي بين الملابس المحفوظة والقلب الذي يفتقد الحب والرعاية. ويمكننا أن نستشف وحدة الصوت في القصيدة وعدم وجود أنيس. ولكن هذه المساواة تتحول إلى حالة تمرد، فالصوت النسائي في القصيدة يدرك أن القلب تحول إلى شيء، ولذلك تعلن في نهاية القصيدة أن هذه التهوية الرمزية لا يمكنها أن تحقق الحياة المطلوبة أو المرغوبة للمرأة في القصيدة.

وها هي قصيدة أخرى لها مكتوبة من منظور نسائي أيضا، تقول فيها:

only today wishing to be taller—dusting

اليوم فقط

أتمنى أن أكون أكثر طولا

فأنا أنظِّفُ البيتَ.

طبعا أضفتُ كلمة "البيت" في الترجمة كنوع من الإفصاح عما هو مضمر في القصيدة وحفاظا على سلاسة الجملة في اللغة العربية. ومن الملاحظ على الترجمة الإنجليزية الموجودة على الموقع الرسمي للشاعرة أن المترجم ترجم القصيدة في سطر واحد، وهو سطر أفقي، مع العلم بأن القصيدة في اليابانية تُكتب في سطر واحد رأسي.

يوجد هنا مشهدان أيضا: المشهد الأول عبارة عن امرأة تقوم بتنظيف البيت وإزالة الغبار عنه، وتجد أنها لا بد أن تقوم بتنظيف السقف، ولكنها امرأة قصيرة، وهنا يظهر المشهد الثاني على مستوى الحلم، وهو أنها تحلم بأن تكون امرأة طويلة حتى تستطيع الوصول للسقف وتنظيفه.

المشهدان أحدهما حاضر يتمثل في السطر الأخير، وأحدهما غائب يحضر عن طريق الحلم أو التمني. وتوجد أسباب منطقية في المشهد الحاضر تستدعي ورود المشهد الغائب.

وسأختم مقالتي هنا بقصيدة رابعة للشاعرة، تقول فيها:

she also cups the spring water for her travel writing brush

بيدها،

تغرفُ أيضا من ماء النبع

لفرشاة كتابة رحلاتها.

بعيدا عن ملابسات كتابة القصيدة التي لا تهم القارئ في شيء، يوجد مشهدان في القصيدة، وكلاهما حاضر ومتجسد أمامنا:

المشهد الأول عبارة عن امرأة على طريق سفر تشعر بالعطش فتغرف بيدها من ماء نبع على الطريق لتشرب. وهذا مشهد عادي يمكن أن يحدث لأي شخص.

المشهد الثاني يتمثل في أن هذه المرأة تغرف من ماء النبع بيدها ماء ليكون عبارة عن حبر للفرشاة التي تسجل بها رحلاتها. سواء أكان ذلك عمليا أم لا، فإن استخدام الماء حبرا للكتابة يربط ما بين الماء والكتابة في عين القارئ العام للقصيدة، فيرى في هذا الماء روحا للكتابة ومادة لها، الأمر الذي يشير إلى أن كتابة الرحلات – أو أي كتابة – لا بد أن تقترن بالحياة وبالانسياب وبالصفاء، وما إلى ذلك من خصائص الماء. كما أن شرب المرأة من الماء وشرب الفرشاة من نفس الماء يوحيان بأن الكتابة بها جانب ذاتي كبير لا بد أن يتجسد فيها ولا بد من الحفاظ على تغذيته وتنميته.